الخوري
ميشال صقر
دكتور في
الكتاب المقدّس

إيمـــان بطـــرس[1]

مقدّمة

في إطار سنة الإيمان (من ١١ تشرين الأوّل ٢٠١٢ حتّى ٢٤ تشرين الثاني ٢٠١٣) نتحدّث في هذا المقال عن مسيرة بطرس الإيمانيّة. تقع أهمّيّة هذا الموضوع بعد استقالة البابا بندكتس السادس عشر عن كرسيّ روما وانتخاب البابا فرنسيس مكانه. فنجد أنّه لا بدّ من التفكير حول «الخدمة البطرسيّة» انطلاقًا من كتب العهد الجديد. إذا كانت هذه المسألة شكّلت عبر العصور مفترقًا لاهوتيًّا أساسيًّا بين الكنائس، فبالعودة إلى الإنجيل نجد ما يجمعنا أكثر ممّا يفرّقنا.

إنّ بطرس شخصيّة مميّزة في العهد الجديد. لقد مثّل في حياته مسيرة المؤمن والمسؤول الكنسيّ. منذ دعوته لازم يسوع أثناء رسالته التبشيريّة وقد كان له موقف مميّز عندما أعلن إيمانه به. لكنّ ضعفه الإنسانيّ جعله ينكر معلّمه ثلاث مرّات، أمّا يسوع فقد سامحه وأوكل إليه رعاية الكنيسة من بعده. وهكذا أصبح في الجماعة المسيحيّة الأولى مثالاً يُحتذى به إن في التبشير الجوّال وإن في الرئاسة المركزيّة.

سنحاول في ما يلي عرض مسيرة إيمان بطرس منذ التقائه بالمسيح حتّى استشهاده، علّه يكون أمثولة لكلّ المسؤولين في الكنيسة وفي المجتمع، ولكّل الذين يعيشون التأرجح في الإيمان، فيتّعظون من حياته.

---

١ أساس هذا المقال هو رياضة روحيّة في زمن الصوم أعطيت للطلاب اللاهوتيّين في الإكليريكيّة البطريركية المارونيّة في غزير (١٥-١٧ آذار ٢٠١٣) ومن ثمّ محاضرة في الأيّام البيبليّة (٤-٩ تشرين الثاني ٢٠١٣). الكاتب هو من كهنة أبرشيّة جبيل المارونيّة حائز على شهادة الدكتوراه في الكتاب المقدّس من الجامعة الغريغوريّة في روما. إضافة إلى عمله الرعائيّ، هو يدرّس العهد الجديد في الجامعات ومعاهد اللاهوت.

١ . دعوة بطرس

هناك اختلاف واضح بين الإنجيليّين الأربعة حول دعوة بطرس. فمن جهة يضع الإزائيّون هذه الدعوة ضمن إطار صيد على بحيرة طبريّة، ومن جهة أخرى يضعها يوحنّا في قرية بيت عنيا على ضفاف نهر الأردن حيث كان المعمدان يعمّد. من الناحية العمليّة نفهم أنّ الإنسان قد يُدعى عدّة مرّات في حياته من قِبَل الربّ وقد تختمر هذه الدعوة عبر محادثات وصلوات عديدة وتأمّلات شتّى قبل اتّخاذ قرار الدخول إلى إكليريكيّة أو رهبنة. لنكتشف في ما يلي الخصائص المتعدّدة لدعوة بطرس، فقد يحدثّنا الربّ من خلالها ويدعونا لاتّباعه.

١. ١- عند يوحنّا (يو ١: ٤٠-٤٢).

المكان (يو ١: ٢٨): نحن في بيت عنيا، قرية على ضفاف نهر الأردن غير بيت عنيا قرية لعازر وأختيه. ويعطينا الإنجيليّ معلومة مهمّة حول بطرس: إنّه من بيت صيدا على ضفاف بحيرة طبرية (يو ١: ٤٤).

الزمان: حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر من اليوم الثالث (يو ١: ٣٥-٤٢) من الأسبوع الأوّل (يو ١: ١٩ — ٢: ١٢). ففي اليوم الأوّل (يو ١: ١٩-٢٨) نجد شهادة المعمدان أمام اليهود من كهنة ولاويّين وفرّيسيّين. وفي اليوم الثاني نجد لقاء المعمدان بيسوع (يو ١: ٢٩-٣٤). أمّا اليوم الثالث فيشهد دعوة ثلاثة تلاميذ: اندراوس وتلميذ آخر، لا بدّ من أن يكون يوحنّا الحبيب، وبطرس. فقد شهد للمسيح اندراوس، التلميذ القديم للمعمدان، مثل معلّمه: ذهب إلى أخيه سمعان ليشاركه اكتشافه «للمسيح»، هذا اللقب الذي يتستّر خلفه كلّ الرجاء اليهوديّ للأيّام الأخيرة[٢]. وقد لعب اندراوس دوره حتّى النهاية إذ «جاء بأخيه إلى يسوع».

---

٢ "وجدنا المسيح" (يو ١: ٤١) أي وجدنا الممسوح مسحة إلهيّة، الممسوح بالزيت، المنتظر؛ وكلّ هذا بسبب شهادة المعمدان في اليومين الأوّلين: "أنا لستُ المسيح" و"هذا حمل الله" أي الذي يحمل فرح الروح القدس وسينادي الإفراج والاعتاق والتحرير للناس (أش ٦١: ١-٢). رج
J. ZUMSTEIN, « Évangile selon Jean » in C. FOCANT – D. MARGUERAT, *Le Nouveau Testament commenté*, Genève 2012, 411-415.

لكنّ الاختيار يبقى ميزة حصريّة ليسوع. فالدعوة من الله، والمبادرة منه إذ حدّق يسوع ببطرس: نظرات يسوع تغيّر الإنسان. فبالتحديق إليه والكلام معه، عرف يسوعُ بطرسَ بكيانه الفرديّ الشخصيّ، ثمّ حوّله إذ أعطاه صبغة جماعيّة من خلال الاسم الجديد «كيفا». يشير الاسم في العقليّة الكتابيّة إلى جوهر الإنسان ورسالته؛ لذلك يُعتبَر تغيير الاسم ذا أهمّيّة بالغة: في احتفال التتويج كان الملوك يأخذون اسمًا (أش ٩: ٥)؛ وأثناء المعاهدات كان الأباطرة الكبار يضعون ملوكًا على مقاطعات ويغيّرون اسمهم (كما الحال مع يوياقيم وصدقيا ٢ مل ٢٣: ٣٤؛ ٢٤: ١٧). وفي تاريخ الخلاص، كان تغيير الاسم يدلّ على حقبة جديدة وذلك واضح من خلال أبرام-إبراهيم، ساراي-ساره ويعقوب-إسرائيل (تك ١٧: ٥ و١٧: ١٥ و٣٢: ٢٩).

إنّ اللفظ الآراميّ «كيفا» يعني صخرة أو حجرًا كبيرًا، ويظهر في العهد الجديد إجمالاً هذا الاسم بالتعبير اليونانيّ المذكر Petros. أمّا الكلمة الآرامية كيفا (roche/Cefa، أو pierre/Cefas) فيستعملها فقط الإنجيليّ يوحنّا وبولس الرسول (٨ مرّات عند بولس). اسمه سمعان بَريونا، أي ابن الحمام والتواضع والوداعة[٣] وسيتحوّل إلى مدلول الصخرة والثبات. في الصباح أعلن المعمدان اسم يسوع «حملاً»، وهكذا التقى الحمل بالصخرة؛ التقى الحمل سريع العطب الذي سيُذبح بالصخرة الثابتة، وسيوكّل الراعي الصالح في ما بعد في الإنجيل الرعاية إلى بطرس ليكون راعيًّا من بعده.

أمّا من جهة ردّة فعل التلاميذ، فالإنجيليّ الرابع، إذ يذكر، بالنسبة للتلميذين الأوّلين، الرابط بين الإصغاء والإتّباع ومن ثمّ الإقامة مع الربّ، فهو في الوقت نفسه، يشدّد على النعمة المجّانيّة منه أثناء دعوته لبطرس وهو لا يذكر أي ردّة فعل من هذا الأخير: الدعوة نعمة!

١. ٢- عند الإزائيّين (مر ١: ١٦-٢٠؛ مت ٤: ١٨-٢٢؛ لو ٥: ١-١١)

تقع دعوة بطرس عند الإزائيّين أثناء صيد في بحيرة طبرية. نجد تشابهًا بين مرقس

٣ قد أعطى هذا التحليل القدّيس جيرونيموس في مت ١٦: ١٧؛ رج
JEROME, Commentaire sur Saint Matthieu, traduit et commenté par E. Bonnard, tome II, Sources Chrétiennes 259, Paris 1979, 15.

ومتّى بما يخصّ هذه الدعوة أمّا لوقا فيعطي قراءة مختلفة.

عند مرقس ومتّى نحن أمام نصّ دعوة معروف من العهد القديم خاصّة من دعوة الأنبياء. فدعوة اليشاع مثلاً من قبل إيليّا تمّت فيما كان يحرث الأرض، إذ مرّ إيليّا ورمى بردائه عليه (رج ١ مـل ١٩: ١٩-٢٢). تتألّف البنية الأساسيّة لنصوص الدعوة من ٣ مراحل: (١) مجيء أو ظهور الداعي؛ (٢) الدعوة الواضحة؛ (٣) اتّباع مع جهوزيّة كاملة. عند متّى ومرقس، بطرس هو المدعو الأوّل من بين التلاميذ الذي يتبع يسوع مع أخيه، ثمّ يأتي يعقوب ويوحنّا. هذا الاتّباع في إنجيل متّى ينخرط في إطار سلسلة من أربعة مراحل (مـت ٤: ١٧-٢٥)[٤]: إعلان يسوع «توبوا فقد اقترب ملكوت الله» وكجواب على هذا الإعلان أربعة تلاميذ يتبعونه، ومن ثمّ يعرض متّى موجزًا عن أعمال يسوع وشفاءاته ويأتي بعده الجواب من قبل الجموع إذ تتبعه. إذًا الدعوة والاتّباع ينخرطان في إطار إعلان يسوع للملكوت؛ وهذا هو معنى الدعوة: الدعوة لإعلان الملكوت. حسب العادة الربّانيّة، على التلاميذ أن يبحثوا عن معلّم يقيمون معه ويتبعونه، أمّا بالنسبة لنا تأتي المبادرة من الله؛ إنّ يسوع هو الذي يدعو وليس التلاميذ هم الذين يدعون أنفسهم. فيسوع يدعو على غفلة، مَن يشاء، وسط العمل اليوميّ، طالبًا الجذريّة في الاتّباع «أترك كلّ شيء واتبعني». ويبقى السؤال: إلى مَ يدعو يسوع؟ ماذا على المدعوّين أن يعملوا؟

- أوّلاً علينا التشديد على الضمير المتكلّم «ي» في «اتبعاني» (مت ٤: ١٩ ومر ١: ١٧). هناك **صبغة شخصيّة قويّة ليسوع**، وهذا يعني السير مع يسوع، ومثل يسوع، ومشاركته في حياته وآلامه وصلبه.

- ونجد ثانيًا صورة **صيد البشر** «أجعلكما صيادي بشر». تدلّ هذا الصورة على الدينونة الأخيرة[٥] كمثل الشبكة (مت ١٣: ٤٧) ومثل العاملين في الكرم (مت ٢٠: ١). لكنّ الصيد ليس صورة لنهاية الأزمنة فقط، إنّما أيضًا هو عمل آني، من خلال إعلان الإنجيل في

٤ حول هذه المراحل الأربعة: (A) إعلان يسوع (٤: ١٧)؛ (B) إتّباع التلاميذ له (٤: ١٨-٢٢)؛ (A') أعمال يسوع (٤: ٢٣)؛ (B') إتّباع الجموع له (٤: ٢٤-٢٥)، رج:
M. GRILLI – C. LANGNER, *Comentario al evengelio de Mateo*, Evangelio y Cultura 5, Navarra 2011, 102-103.

٥ هذا ما يجعل من الصيد عملاً إلهيًّا إذ يجمع العالم في آخر الأزمنة. يقول الربّ في زك ١٠: ٨ "أصفِّرُ لهم وأجمعهم من بين الشعوب"، وفي إر ١٦: ١٦ "ها أنذا أرسلُ صيّادين كثيرين فيصطادونهم".

الزمن الحاضر. ففي مت ١٠ سيُضِمُّ يسوع تلاميذَه إلى رسالته ويُرسلهم ليحققوا الملكوت في الرسالة. وكيف يكون الصيد؟ الجواب: من خلال لمس قلب المستمع، فيقع في الشبكة. عندما تكون الكلمة لذيذة تُصيب قلب البشر «فيعلقون» في صنّارة الملكوت!

- ثالثًا وأخيرًا، موقف التلاميذ: اتّباع مع **جهوزيّة كاملة**. تركا الشباك؛ ابنا زبدى تركا أباهما؛ وجميعهم تبعوه. على المدعو ترك نمط حياة وعادات لا تتماشى مع الوضع الجديد. تتطلّب التلمذة أو الدعوة ترك حتّى الروابط العائليّة (ابنا زبدى تركا أباهما)، ويوضح اللاهوت المتّاوي أنّ للتلاميذ أبًا سماويًّا من أهمّ أعماله «العناية» بأبنائه. أمّا التَّرْك فهو بهدف الانضمام إلى جماعة التلاميذ؛ ليس الترك للعزلة او للانفراد إنّما التّرك للانضمام إلى جماعة الكنيسة، جماعة تلاميذ يسوع، جماعة الأخوة المصغين إلى كلام الربّ.

أمّا عند لوقا، فدعوة بطرس تأتي متأخّرة (لــو ٥: ١٠-١١)، بعد شفاءات متعدّدة قام بها يسوع أهمّها شفاء حماة بطرس (لو ٤: ٣٨-٣٩) وبعد الصيد العجائبيّ (لـو ٥: ١-١١). إنّ لوقا يكتب إلى جماعة يونانيّة منطقيّة: لا يُمكن اتّباع شخص دون الاستماع إليه ورؤية أعماله. فيسوع لوقا، بعد أن صام في البرّيّة، شرع يبشّر ويشفي وبعد ذلك دعا التلاميذ. إنّ لوقا يختلف عن باقي الأناجيل إذ يضع اللقاء الأوّل الشخصيّ ليسوع ببطرس أثناء شفائه لحماته؛ واللقاء الثاني كان في سفينة بطرس ليعلّم الجموع، وبعد التعليم صار الصيد العجائبيّ[٦]. إنّ لوقا يعطي دورًا مهمًّا لبطرس: يسوع يدخل بيته ويصعد إلى سفينته، ويتحدّث بطرس باسم التلاميذ. ونستنتج أنّ يسوع «يرتاح» عند بطرس. والمعروف أنّ بطرس كان من بيت صيدا على ضفاف البحيرة وله بيتٌ في كفرناحوم أيضًا على ضفاف البحيرة؛ وقد جعل من بيته في كفرناحوم مقرًّا ليسوع. أمّا ردّة فعل بطرس أمام إله الشفاء وإله الملء فكانت: «تباعد عنّي إنّي رجل خاطئ». لقد أظهر أشعيا الموقف نفسه «أنا رجل نجس الشفتَين» (أش ٦: ٥). إنّ هذا الموقف ينخرط في إطار ردّات الفعل البشريّة أمام القوّة الإلهيّة. أمّا جواب يسوع فهو: «لا تخف!». وجواب الله لأشعيا كان أنّ الجمرة قد مسّت شفاهه وهكذا طهّره وأرسله. فالربّ يطلب إلينا ألاّ ننظر لحالنا أمام الدعوة بل أن ننظر له.

٦ إنّ هدف الصيد العجائبيّ عند لوقا في بداية حياة يسوع العلنيّة هو التأكيد لبطرس وللتلاميذ أنّه ابن الله؛ أمّا الصيد في يوحنّا بعد القيامة فهو نصّ إرساليّ بامتياز: اصطادوا ١٥٣ نوعًا من السمك بعد أن أعدّ يسوع سمكًا على جمر؛ فسمك يسوع هم التلاميذ الذين اصطادهم، وسمك التلاميذ هم الناس الذين أُرسَلوا إليهم وبشّروهم.

١. ٣- خلاصة

إسم بطرس الأصليّ سمعان؛ له سفينة على شاطئ بحيرة طبرية؛ له بيتان أصلاً في بيت صيدا ومن ثمّ في كفرناحوم مع حماته؛ يُفترَض ألاّ يكون أمّيًا؛ جعل من بيته في كفرناحوم مركزًا ليسوع فهو قريب منه إنسانيًّا؛ أمّا دعوته فكانت إلى أمرَين: (١) أن يصير صيّاد بشر من خلال إلقاء شبكة الكلمة لاصطياد القلوب؛ (٢) أن يُصبح صخرًا ثابتًا كما قال له يسوع في إنجيل يوحنّا. ملامح هذه الدعوة ستتوضّح تدريجيًّا أثناء حياة يسوع العلنيّة.

٢ . بطرس أثناء حياة يسوع العلنية

سنعرض في ما يلي أين نجد بطرس في الأناجيل الأربعة، ومن ثمّ نختار بعض الأحداث الأساسيّة في مسيرته الإيمانيّة ونتحدّث عنها.

بخبر دعوة بطرس تبدأ رسالة يسوع العلنيّة فهو في أوّل لائحة المدعوين الأربعة (مر ١: ١٦)[٧]؛ شفى يسوع حماته في كفرناحوم حين كان في ضيافته (مر ١: ٢٩-٣١)؛ سمّى مرقس مجموعة التلاميذ «سمعان ورفاقه» (مر ١: ٣٦)؛ حين وردت لائحة الإثني عشر كان بطرس في رأس اللائحة (مر ٣: ١٦)؛ يُذكر بطرس في مجموعة الأصدقاء الأربعة الحميمين «بطرس، أندراوس، يعقوب ويوحنّا» الذين شهدوا أعمالاً عظيمة في حياة معلّمهم: شفاء ابنة يائيرس (مر ٥: ٣٧)، خبرة التجلّي (مر ٩: ٢-١٣)، خطبة النهايات في مرقس (مر ١٣: ٣) وفي بستان الزيتون (مر ١٤: ٣٣)؛ بطرس هو الذي يتكلّم باسم رفاقه معلنًا إيمانه وقائلاً أنت المسيح (مر ٨: ٢٩)؛ وفي التجلّي سيقول يا معلّم ما أجمل أن نكون هنا (مر ٩: ٥)؛ وبعدها سيقول أنظر يا معلّم التينة التي لعنتها (مر ١١: ٢١)؛ وبعد القيامة سوف يُذكر بطرس كهدف أساسيّ يجب أن تصل إليه بشرى القيامة «إذهبن وقلنَ لتلاميذه ولبطرس» (مر ١٦: ٧). وتُذكر أمور ليست في مصلحة بطرس، ما كان

٧ سنعرض أوّلاً ماذا يقول إنجيل مرقس عن بطرس، لأنّ هذا الإنجيل كُتب أوّلاً. ففي مرقس نجد أخبارًا تصبّ في مصلحة بطرس وأخرى لا؛ نعرضها جميعها. لكننا لن نكرر في الأناجيل الأخرى النصوص التي نجدها عند مرقس بل نكتفي بذكر ما يتفرّد به كلّ من متّى ولوقا. نشير أنّ النصوص التي نجدها عند الإزائيّين الثلاثة مع فروقات واضحة هي: دعوة بطرس، إعلان إيمانه، التجلّي، ونكرانه ليسوع.

مرقس ليذكرها، وللرسل ما لهم من المكانة في قلب المسيحيّين الأوّلين، لو لم يأخذها من بطرس الذي عبّر فيها عن صدقه وتواضعه[٨]. «إلتفت يسوع ورأى تلاميذه فوبّخ بطرس وقال له ابتعد عني يا شيطان» (مر ٨: ٣٣)؛ وبعد التجلّي يقول مرقس كان بطرس لا يعرف ما يقول من شدّة الخوف الذي استولى عليه وعلى رفاقه (مر ٩: ٦)؛ ويتحدث مرقس عن اصرار بطرس بأنّه لن ينكر المعلّم (مر ١٤: ٢٩-٣١) ثمّ يعود فيتحدث مطوّلاً عن هذا الانكار أمام جارية ثمّ أمام الحاضرين (مر ١٤: ٦٦-٧٢). تجاه هذا، تخلّى مرقس عن مدائح تقال لبطرس فأوردها متّى ولوقا.

يتفرّد **متّى** بذكر بطرس في ٣ أحداث: المشي على الماء (مت ١٤: ٢٨-٣٣)، جواب يسوع له بعد اعلان إيمانه في قيصرية فيلبس (مت ١٦: ١٧-٢٠)، ودفع ضريبة الدرهمين (مت ١٧: ٢٤-٢٧)؛ كما أنّ متّى يُضيف كلمة «أولهم» في لائحة أسماء الـ١٢ (مت ١٠: ٢).

أمّا **لوقا**، فيذكر دعوته بعد الصيد العجيب (لو ٥: ١-١١)، ويتفرّد بكلام بطرس بعد أن لمست النازفة يسوع «الناس يزحمونك وأنت تقول مَن لمسني؟» (لو ٨: ٤٥)؛ وبكلامه بعد حديث يسوع عن السهر «ألنا تقول هذا المثل أم للجميع؟» (لو ١٢: ٤٥)؛ وبطرس هو الذي يذهب مع يوحنّا ليعدّا الفصح (لو ٢٢: ٨)؛ وهو الذي يهدّده الشيطان ولكن الربّ صلّى من أجله (لو ٢٢: ٣١-٣٢).

عند يوحنّا، يُذكر بطرس في الأحداث التالية: دعوته وتغيير اسمه (يو ١: ٤١-٤٢)، إعلان إيمانه (يو ٦: ٦٧-٧١)، ممانعته في الغسل (يو ١٣: ٦-١١)، أثناء العشاء طلب إلى التلميذ الذي يحبّه يسوع عمّن يتكلّم بالنسبة للخيانة (يو ١٣: ٢٤)، انبأ يسوع عن نكرانه (يو ١٣: ٣٦-٣٨)، قطع أذن الخادم عند الاعتقال (يو ١٨: ١٠-١١)، أنكر يسوع (يو ١٨: ١٥-٢٧)، ذهب يوم القيامة إلى القبر (يو ٢٠: ١-١٠)، الترائي على الشاطئ: صيد عجيب (يو ٢١: ١-١٤)، جُعل راعي الخراف وأُنبئ عن استشهاده (يو ٢١: ١٥-١٩)، سأل عن التلميذ الحبيب (يو ٢١: ٢٠-٢٣).

بعد هذا العرض الشامل لبطرس في الأناجيل أثناء حياة يسوع العلنيّة، نختار أربعة نصوص تشكّل منعطفًا أساسيًّا في مسيرته الإيمانيّة ونتوقف عليها.

٨ بالنسبة لشخصيّة بطرس حسب الإنجيليّ مرقس، رج:
J.-P. FABRE, *Comment Jésus pétrit Pierre. Le personnage de Pierre dans l'Évangile de Marc*, École Cathédrale, Paris 2006, 11-130.

٢. ١- بطرس يمشي على الماء (مت ١٤: ٢٨-٣١)

لقد مشى يسوع على الماء في متّى، مرقس ويوحنّا، لكننا نجد فقط عند متّى أنّ بطرس يمشي على الماء. مشي يسوع على الماء يعني أنّه الله القائم المنتصر على «المياه» هذا العنصر الذي يرمز إلى عالم الموت عند الشعوب القديمة. يقول المزمور ٧٧: ١٧ «رأتْك المياهُ يا الله، رأتك المياه ففزعت، في البحر طريقك وفي المياه الغزيرة سبُلُك، ولا تُعرف آثارك». ودعوة يسوع لبطرس أن يمشي هي دعوة للانتصار على الموت. عندما نظر بطرس إلى يسوع مشى ولكن عندما نظر إلى نفسه شكّ ووقع. يكوّن بطرس الصورة الواقعيّة للتلميذ وللمؤمن، الذي ينتظر كثيرًا من يسوع ويعلّق آمالاً كبيرة عليه، لكن في الوقت نفسه يمتلئ من الشكوك فيسقط. يعلّمنا بطرس أنّ طريق الإيمان تمرّ أحيانًا بالبحث عن الربّ وبالشكوك. في عجيبة تسكين العاصفة، صرخ الرسل «يا ربّ خلّصنا» (soson êmas؛ مت ٨: ٢٥)، يردّد الآن بطرس الصرخة نفسها «يا ربّ خلّصني». واعتراف التلاميذ الآن عندما صعد يسوع إلى السفينة «أنت ابن الله» سيردّده بطرس في قيصرية فيلبس (مت ١٦: ١٦). إنّ الخلاص يأتي من يد الربّ إلى التلميذ القليل الإيمان[٩]، كما يقول المزمور ١٤٤: ٧ «أرسل يدك من عليائك وانتشلني وأنقذني من غزير المياه ومن أيدي بني الغرباء». إنّ السفينة والرسل وبطرس في الإنجيل هم رمز للكنيسة: وسط الصعوبات والأمـواج والهرطقات، تتغلّب كنيسة الرسل وبطرس على الشك بواسطة الإيمان[١٠]. فالإيمان هو، في الوقت نفسه، من الله كنعمة للخلاص، وهو أيضًا من الإنسان الذي يعلن موقفه المتأكد من أمانة الله.

---

٩ إنّ ميزة التلاميذ عند متّى هي أنّهم "قليلو الإيمان" (oligopistoi؛ مت ٦: ٣٠؛ ٨: ٢٦؛ ١٤: ٣١؛ ١٦: ٨؛ ١٧: ٢٠). يهتم يسوع متّى كثيرًا بهؤلاء التلاميذ ويرفعهم من الإيمان القليل (مت١٦: ٨) إلى الفهم (مت ١٦: ١٢) لأنّ الوقت ذو أهمّيّة كبيرة! أمّا عند مرقس فلهم صفة "عدم الفهم" (ouk suniemi؛ مر ٨: ١٧ و٢١) وصفة "عدم الإيمان" (apistia؛ مر ٤: ٤٠؛ ١٦: ١١ و١٤؛ وربما أيضًا مر ٩: ١٩)؛ فسرّ الصليب الذي يركّز عليه مرقس لا يُفهَم طبيعيًّا بل فقط بنعمة من الله.

١٠ حول موضوع الكنيسة وقداستها بالرغم من قلّة إيمان أعضائها رج :
BENOIT XVI, *La foi chrétienne hier et aujourd'hui. Édition augmentée d'une préface pour l'an 2000*, Cerf, Paris 2005, 243-248: « Dans sa structure paradoxale de sainteté et de péché, l'Église est la forme de la grâce dans ce monde » (p. 246).

٢. ٢- إعلان إيمان بطرس (مر ٨: ٢٧-٣٠؛ مت ١٦: ١٣-٢٠؛ لو ٩: ١٨-٢١؛ يو ٦: ٦٨)

إنّ يسوع يسألك الآن، عزيزي القارئ، كما سأل التلاميذ: مَن أنا بالنسبة لك؟ هل جوابك هو ما تعلّمتَه من اللاهوت والتعليم المسيحيّ أم هو جوابٌ شخصيّ ومختَبَر؟ آن الأوان أن نشدّد في حياتنا المسيحيّة بالدرجة الأولى على الخبرة الشخصيّة مع المسيح، حيث تبدأ عامّةً مسيرة الإيمان، ومن ثمّ تتغذّى من التعليم.

عند مرقس، يشكّل اعلان بطرس لمسيحانيّة يسوع ذروة أساسيّة في الإنجيل. إنّه انتفاضة حقيقيّة بعد ثمانية فصول من الانتظار. هو «نقطة وصول» للأزمة حول هويّة يسوع التي بقيت غير مفهومة في الصفحات الماضية ونهاية لمهمّته في الجليل التي كانت نوعًا ما «فاشلة»؛ وبذلك تشكّل الآية (مر ٨: ٢٩) قفلاً أدبيًّا ولاهوتيًّا هامًّا مع (مر ١: ١). لقد نهى يسوع عن إفشاء هذا السرّ حتّى لا يُساء فهمه في مسيح سياسيّ أرضيّ، وبذلك يكون قد شكّل إعلان بطرس أيضًا «نقطة انطلاق» لفهم المسيح المصلوب، إذ أنّ معرفة بطرس لحقيقة يسوع هي المرحلة الأولى والبدائيّة للكشف المتكرّر لهذه الهويّة حتّى الوحي الكامل عبر الصليب. حتّى مر ٨: ٢٧-٣٠ كان التركيز في إنجيل مرقس على «معرفة» شخص يسوع؛ وانطلاقًا من الآن سيصبح الموضوع الأبرز «اتّباع» المسيح على درب الصليب. يضع الإنجيليّ سرّ الصليب كركيزة أساسيّة لحياة المسيحيّ الذي يجب أن يستقبله كشرط لنيل الخلاص.

عند لوقا، ميزة هذا الإنجيليّ[١١] أنّه يضع اعلان بطرس لإيمانه بعد أن صلّى يسوع في العزلة (لو ٩: ١٨). فالصلاة عند لوقا هي موضوع رئيسيّ. إنّ صلاة يسوع جعلت بطرس يعلن إيمانه. والمعروف أيضًا عند لوقا أنّ بطرس هو علامة وحدة الكنيسة وعليه أن يثبّت الأخوة في الإيمان والمحبّة: «لقد دعوتُ لك يا بطرس، حتّى لا تفقد إيمانك، وأنتَ متى رجعتَ ثبّت إخوتك» (لو ٢٣: ٣٢). لذلك ظهر له شخصيًّا الربّ بعد القيامة (لو ٢٤: ٣٤). إنّ إيمان بطرس لهو حاسمٌ في تكوين الجماعة المسيحيّة الأولى. وهكذا إنّ كلّ مدعوّ إلى الكهنوت، وكلّ رسول وكلّ كاهن، عليه أن يكون علامة لوحدة الكنيسة: أن يثبّت ويشجّع الإخوة على الاستمرار في الإيمان، ألاّ تكون أحاديثه انتقاد دائم للكنيسة، بل عليه أن

١١ لمعرفة موقف بطرس والرسل في السرد اللوقاويّ رج:
J.-N. ALETTI, *L'art de raconter Jésus Christ. L'écriture narrative de l'évangile de Luc*, Parole de Dieu, Seuil, Paris 1989, 202-203.

يبنيها ويوحّدها ويدافع عنها.

عند يوحنّا، يأتي إعلان بطرس في إطار الحديث الإفخارستيّ «إلى مَن نذهب وعندك كلام الحياة الأبديّة؟» (يو ٦: ٦٨)[١٢]. إن اعتراف بطرس بأنّ عند يسوع «كلام حياة» يعني أنّ بطرس هو علامة «للإصغاء» إلى كلام الربّ. وبما أنّ موضوع يو ٦ هو إفخارستيّ بامتياز، فبطرس هو أيضًا علامة لعيش الإفخارستيّا. لمّا أعلن يسوع جسده مأكلاً حقيقيًّا ودمه مشربًا حقيقيًّا، مشيرًا بذلك إلى سرّ القربان (يو ٦)، استصعب بعض الرسل كلامه فرجعوا إلى الوراء، أمّا بطرس فأعلن إيمانه. وإذا نظرنا إلى إنجيل متّى، نجد أنّ بطرس سأل كم مرّة يغفر إلى أخيه يوميًّا إذا خطئ، أإلى ٧ مرّات (مت ١٨: ٢٢)؟ فما كان جواب يسوع إلاّ معلِّمًا بطرس الغفران اللامحدود. وبذلك يكون بطرس قد علّمنا «الإصغاء» لكلام الله، وعيش «الإفخارستيّا» و«الغفران».

ففي **إنجيل متّى**، الإنجيل الكنسيّ، نجد شخصيّة بطرس متألّقة. لكننا نجد جوابًا، من يسوع إلى بطرس، خاصًّا بمتّى، (١٦: ١٧-٢٠) أشعل مشاكل عدّة على الصعيد المسكونيّ من ناحية بطرس ومن ناحية الكنيسة، بموضوع الخدمة البطرسيّة (le ministère pétrinien):

- آ ١٧: عبارة «لحم ودم» تعني الإنسان كلّه مع التشديد على الناحية الجسديّة الضعيفة منه وقد حظي بطرس بوحي إلهيّ خاصّ (مت ١١: ٢٥-٢٧) وبنعمة مجانيّة في معرفته سرّ يسوع متميّزة عن الوحي للتلاميذ الآخَرين.

- آ ١٨: سمّى يسوع سمعان «كيفا» دلالة على دوره الخاصّ في بناء الكنيسة[١٣]. فالكنيسة مبنية على صخرة الإيمان. وهذه الكنيسة هي خاصّة المسيح: «كنيستي» مع ياء المتكلّم؛ وقد وُعدت بأنّها ستبقى إلى الأبد، ولن تقوى عليها أبواب الجحيم لأنّها بُنيَت على الإيمان؛

---

١٢ حول موقف التلاميذ وإعلان إيمان بطرس عند يوحنّا رج:
X. LEON-DUFOUR, *Lecture de l'évangile selon Jean, t. II (5 – 12)*, Parole de Dieu, Seuil, Paris 1990,186-191.

١٣ الكلمة الآراميّة الأصليّة واحدة "كيفا" وقد نقلها الإنجيليّ متّى إلى اليونانيّة بكلمتين petros صخر (تُستعمل أفضل كوصف)، وpetra صخرة (تُستعمل أفضل كأساس للكنيسة). ما بناه يسوع على الصخرة هو "قاهال" في العبريّة (أطلق الكتاب المقدّس هذه الكلمة على شعب الله المختار لا سيّما لدى عبوره في الصحراء وتجمّعه على أقدام جبل سيناء ليقبل التوراة (تث ٥: ٢٢)، "كنوشتا" في الآراميّة، "كنيسة" في العربيّة، أمّا في اليونانيّة فهناك كلمتان، ekklêsya وsunagoguê، وقد اختار الإنجيليّ متّى الأولى.

لكن بالمقابل، إذا كانت كنيسةٌ ما أو جماعة بدون إيمان، فلتخَفْ عندها، لأنّها ستزول!

– آ ١٩: ميزةٌ ثالثة لبطرس هي أنّه أُعطي المفاتيح أمّا الحلّ والربّط فقد أعطي لبطرس (هنا) وللتلاميذ مجتمعين (مت ١٨: ١٨). المفتاح يعني المسؤوليّة. إنّ المفاتيح (أش ٢٢: ٢٢) تجعل من بطرس «ربّ البيت» يقبل في جماعة المؤنين مَن هم أهلٌ ببيت الله، ويرفض من ليسوا أهلاً به، شرط ألاّ يكون كالفرّيسيّين إذ قال لهم يسوع: «الوَيلُ لَكم أيُّها الكَتَبَةُ والفِرِّيسيُّونَ المُراؤون، فإنَّكم تُقفِلونَ مَلكوتَ السَّمَواتِ في وُجوهِ النَّاس، فَلا أنتُم تَدخُلون، ولا الذينَ يُريدونَ الدُّخولَ تَدَعونَهم يَدخُلون» (مت ٢٣: ١٣)[١٤]. ومن ناحية «الحلّ والربّط»، فإنّهما كلمتان استعملها علماء التوراة بالمعنى التنظيميّ والعقائديّ في ما هو مسموح وما هو ممنوع.

٢. ٣- ممانعة بطرس ليسوع بعد إعلانه الأوّل عن موته وقيامته (مر ٨: ٣١-٣٣؛ مت ١٦: ٢١-٢٣).

في البداية، تجدر الملاحظة أنّ المقاطع الأربعة «إعلان إيمان بطرس»، «الإنباء الأوّل حول الآلام»، «ما يُطلب من اتباع يسوع»، و«التجلّي بعد ٦ أيّام» هي المقاطع الوحيدة الأربعة التي تتبع بعضها عند الإزائيّين الثلاثة في حياة يسوع العلنية[١٥]. وحتّى إنجيل يوحنّا ليس بعيدًا عن هذا الواقع إذ يجعل إيمان بطرس في يو ٦: ٦٨ وعيد المظال في يو ٧: ١٤. الخلفيّة اليهوديّة لهذه الأعياد في حياة يسوع العلنيّة تُفهم على الشكل التالي: في يوم «كيبور»، عيد الغفران، كان يدخل رئيس الكهنة مرّة في السنة إلى قدس الأقداس ويُعلن الإيمان قائلاً — ما يعادله في السريانيّة — «قاديشات آلوهو» وقد يكون بطرس في هذه المناسبة أعلن إيمانه بيسوع. بعد ٦ أيّام يأتي عيد المظالّ وقد يكون تجلّى يسوع، عندها قال بطرس حسنٌ أن نصنع ثلاث مظال. ما يهمّنا في هذا الإطار هو الإعلان الأوّل

١٤ رج ميشال صقر، "قمّة الصراع بين يسوع والفرّيسيّين"، **الإنجيل بحسب القدّيس متّى**، دراسات بيبليّة ٤٨، الرابطة الكتابيّة، بيروت ٢٠١٢، ٣٩٩-٤١٧.

١٥ حول هذا الموضوع الأساسيّ في بنية إنجيل متّى، حسب مقترح أطروحة الماجستير في أنجيه-فرنسا، رج: M. SAKR, *L'évangile selon Saint Matthieu, une catéchèse adaptée aux Juifs et à l'Église primitive. Mémoire de Maîtrise Canonique sous la direction du P. Pierre HAUDEBERT*, Université Catholique de l'Ouest, Angers 2000, 83.

للآلام والموت والقيامة، ومن ثمّ ممانعة بطرس وقول يسوع له «ابتعد عني يا شيطان»:

– لماذا عارض بطرس فكرة الآلام؟ إنّ موقف بطرس يُظهر صعوبة التوفيق بين لقب «المسيح»، الذي قد أعلنه للتوّ، وفكرة الآلام والموت.

– ولماذا دعاه يسوع بشيطان؟ بمعارضته آلام يسوع، يقوم بطرس بمقام الشيطان الذي يحاول أن يردّ يسوع عن طاعة الله. كلّ طريق خالية من درب صليب محمولٍ بفرح لا توصل إلى القيامة. يريد لنا الشيطان حياة دون صليب. فتعليم يسوع واضح «مَن لم يحمل صليبه ويتبعني فليس أهلاً لي؛ مَن يريد أن يخلّص نفسه يفقدها» (مت ١٠: ٣٨-٣٩)[١٦].

– وما معنى «انسحب ورائي»؟ إنّها دعوة لبطرس ولكلّ تلميذ على اتّباع يسوع؛ فلا يمكننا أن نجعل يسوع يتبع أفكارنا وتطلّعاتنا، بل علينا نحن أن نتبعه. إنّ السير وراء يسوع يعني اتّباعه على درب الصليب؛ إنّ خلاصنا يتمّ فقط بالسير وراء المسيح، بالتتلمذ له، وبقبول الصليب ووجع الحياة برجاء القيامة[١٧].

٢. ٤- إنكار بطرس ليسوع وتوبته.

إنّ بطرس هو نموذج الإنسان المتحمّس للدفاع عن معلّمه، المتأرجح في إيمانه والعفويّ الطبع، لكنّه، في الوقت نفسه، رمزٌ للتوبة من خلال الدموع التي ذرفها وخاصّة من خلال عودته إلى حضن الجماعة. وهذا ما لم يفعله يهوذا الإسخريوطيّ: إنّ بطرس نكرَ معلّمه ويهوذا خانَه؛ الخطيئتان كبيرتان؛ ولا واحدة تقلّ درجةً عن الأخرى؛ لكنّ الفرق أنّ يهوذا لم يعد إلى الكنيسة، بل تقوقع على نفسه في ظلام الخطيئة والجهل (مت ٢٧: ٣-١٠

---

١٦ حول أهمّيّة الصليب في الحياة المسيحيّة رج:

B. SESBOUE, *Jésus-Christ, l'Unique Médiateur. Essai sur la rédemption et le salut*, Jésus et Jésus Christ 33, Desclée, Paris 2003, 28-29.

١٧ في هذا الإطار راجع الرسالة العامّة الأولى التي وجهها قداسة البابا فرنسيس بعنوان "نور الإيمان" في ٢٩ حزيران ٢٠١٣:

« Le chrétien sait que la souffrance ne peut être éliminée, mais qu'elle peut recevoir un sens, devenir acte d'amour, confiance entre les mains de Dieu qui ne nous abandonne pas et, de cette manière, être une étape de croissance de la foi et de l'amour »: FRANÇOIS, *Lumen Fidei. Encyclique du Pape sur «La lumière de la foi»*, Vatican 2013, § 56.

وأع ١: ١٨)، أمّا بطرس، فدموعُه جعلته يعود إلى الجماعة وينتظر معها القوّة من العلى (أع ١: ١٣). فليس على الخطيئة، مهما كبُر حجمها، أن تُبعدنا عن التوبة، لأنّ رحمة الله أكبر بكثير من جبال خطايانا[١٨].

٢. ٥- خلاصة

إنّ علاقة يسوع ببطرس أثناء حياته العلنيّة يمكن اختصارها بما يلي:

- هو قريب إنسانيًّا من يسوع، فقد جعل بيته مقرًّا للتبشير في كفرناحوم.

- هو علامة الكنيسة المؤمنة ووحدتها.

- هو علامة الإصغاء لكلام الربّ ولعيش الإفخارستيّا والغفران.

- هو نموذج الإنسان المتحمّس والعفويّ والتائب.

بطرس في الكنيسة الرسوليّة

إذا كانت دعوة بطرس نعمة من الربّ، وإذا لم نلحظ أثناء حياة يسوع العلنيّة إيمانًا ثابتًا لبطرس، سنجد، بعد القيامة، أنّ بطرس أصبح صخرًا يليق برعاية الخراف. قيامة المسيح هي أساس الإيمان الرسوليّ والمسيحيّ على ممر الأجيال. في ما يلي، سنبحث في مسيرة بطرس الإيمانيّة عن أهمّيّة شخصيّته بعد القيامة، عن انطلاقته للتبشير بعد

---

١٨ يقول نشيد "آبو دقشتو" في السريانيّة من الليتورجيّا المارونيّة ما يلي: "كمُا لي حَوبا كمُا لُخ رَحمِا إن توقِل آت، حنُنُخ نُتَع طُب من طورِا دتقيلين لُخ"، وهذا معناه: "كم لي من الخطايا وكم لكَ من الرحمة إن وزَنتَها، فحنانك لهو أثقل (في الميزان) من جبال خطاياي". أمّا القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم فيقول حول توبة يهوذا الناقصة ما يلي: « Se condamner soi-même, rapporter le prix de sa trahison, mépriser l'opinion des Juifs, tout cela eût été louable; mais mettre le sceau aux remords par le suicide, voilà qui n'admet pas d'excuse, et qui est l'œuvre du malin esprit »: Collectif, *Marc commenté par Jérôme et Jean Chrysostome*, Les Pères de la foi, Desclée de Brouwer, Paris 1986, 135-136.

العنصرة، وعن حبّه المستميت لمعلّمه حتّى بذل الذات في الاستشهاد.

٣. ١- بطرس بعد القيامة.

وضعَت الأناجيل صورة بطرس كـ«مُرسَل إليه» (destinataire) أساسيّ لحدث القيامة[١٩] وذلك بعد غيابه إزاء نكرانه ليسوع وبكائه واختفائه في رواية الصلب والدفن. فحسب يو ٢٠: ٢ أسرعت مريم المجدليّة إليه وقالت له «أخذوا الربّ». أمّا عند مر ١٦: ٧ فالملاك يأمر النسوة بأن «أسرعن وقلن لبطرس وللرسل أنّه يتقدّمكم إلى الجليل». وحسب بولس ورفيقه في التبشير لوقا يُذكر أنّ سمعان حظي بتراءٍ خاصّ لا نعرف تفاصيله: «إنّ المسيح مات من أجل خطايانا، قام في اليوم الثالث وظهر للصفا وللإثني عشر» (١قور ١٥: ٥)، وبعد أن رجع تلميذا عمّاوس إلى أورشليم وجدوا الأحد عشر مجتمعين وهم يقولون «إنّ الربّ قام حقًّا وظهر لسمعان» (لو ٢٤: ٣٤).

أمّا إنجيل يوحنّا فيعرض في فصليه الأخيرين أحداثًا فريدة حول مسيرة بطرس الإيمانيّة بعد القيامة. يعطيه دورًا مهمًا في الريادة والقيادة، لكنّه يحتفظ بدور «المؤمن» للتلميذ الذي يحبّه يسوع. فيما ذهب التلميذان إلى القبر تبقى خبرة بطرس محصورة برؤية اللفائف والمنديل أمّا التلميذ الآخر فرأى القبر فارغًا من جسد الربّ «وآمن» (يو ٢٠: ٨). ثمّ يذكر الإنجيليّ أربعة أحداث مهمّة في حياة بطرس: الصيد العجيب (يو ٢١: ١-١٤)، سؤال يسوع له ثلاث مرّات أتحبني وجعله راعي خرافه (يو ٢١: ١٥-١٧)، إنباء يسوع عن استشهاد بطرس (يو ٢١: ١٨-١٩)، وأخيرًا سؤال بطرس ليسوع عن مصير يوحنّا (يو ٢١: ٢٠-٢٣). كلّ هذه الاحداث حضّرت بطرس ليكون شاهدًا رئيسيًّا للقيامة ومبشِّرًا أساسيًّا لخبرته الإيمانيّة. هذا ما سنراه في سفر أعمال الرسل: قبيل العنصرة سوف يدعو إلى انتخاب خلف ليهوذا متخذًا المقياس التالي «معرفة يسوع من المعموديّة حتّى الصعود كي يصير شاهدًا مع الرسل على القيامة» (أع ١: ٢٢). إنّ ظهورات القائم كانت مهمّة جدًّا للرسل ولبطرس حتى يتأكدوا انّ الذي عاشوا معه ثلاث سنوات لم يصبح بعد

١٩ يقول البابا بندكتس السادس عشر حول هذا الموضوع ما يلي:
« Après la résurrection, le Seigneur se manifeste tout d'abord à Pierre, avant les Douze, et ce faisant Il lui renouvelle une fois encore sa mission unique », BENOIT XVI, *Jésus de Nazareth. 2ème partie. De l'entrée à Jérusalem à la résurrection*, Parole et Silence - Rocher, Paris 2011, 294.

القيامة وهمًا أو فكرة إيديولوجيّة، بل حقيقةً إنه قام. أمّا بالنسبة للذين لم يعيشوا مع المسيح أثناء حياته العلنيّة، ونحن منهم، فأضحت الظهورات غير مهمة إنّما الأساس أصبح اختبار الإيمان وحضور القائم في الحياة الشخصيّة إستنادًا إلى الخبرة الكنسية والتقليد «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو ٢٠: ٢٩).

٣. ٢- بطرس بعد العنصرة

في أعمال الرسل ملخّصات ثلاثة تروي حياة الجماعة المسيحيّة الأولى (أع ٢: ٤٢-٤٧؛ ٤: ٣٢-٣٥؛ ٥: ١٢-١٦)، كان لبطرس الدور الأساسيّ فيها لأنّه كان يرأسها[٢٠]؛ تبقى هذه الملخّصات النموذج الأسمى الذي يجب على كلّ الجماعات الكنسية على ممر العصور الاقتداء به. كما أنّنا نجد خُطَبًا كثيرة في أعمال الرسل تشكّل ثلث الكتاب وهي موجَّهة إلى القارئ أكثر من السامع، منها خمس لبطرس: خطبة يوم العنصرة (٢: ١٤-٣٦)، عظة أخرى لليهود (٣: ١٢-٢٦)، خطابه أمام المجلس اليهوديّ بعد مثوله لديه مع يوحنّا (٤: ٩-١٢)، خطابه بجرأة مرّة أخرى لدى المجلس (٥: ٢٩-٣٢)، وأخيرًا في بيت قرنيليوس (١٠: ٣٤-٤٣). المضمون الأساسيّ لكلّ كرازة (kérygme) رسوليّة — إن كانت لبطرس أو لغيره من الرسل — مؤلّف من أربع نقاط[٢١]: أ- المسيح متمم النبوءات، ب- أتى إلينا مات وقام، ج- نحن شهود على ذلك، د- دعوة السامعين للتوبة وللعماد. فبين الفصول ١ و١٢ من سفر أعمال الرسل تكثر أعمال بطرس، لتختفي تدريجيًّا فتظهر أعمال بولس بين الفصول ١٣ — ٢٨. هذا ما جعل البعض يسمّي هذا الكتاب أعمال بطرس وبولس[٢٢]؛ فالتوازي بين بطرس وبولس يظهر أيضًا من خلال بعض الأحداث نفسها التي

٢٠ حول هذا الدور الأساسيّ لبطرس رج:
X. LEON-DUFOUR, *Les évangiles et l'histoire de Jésus*, Parole de Dieu, Seuil, Paris 1964, 250.

٢١ حول هذا الموضوع رج:
B. SESBOUE, *Jésus-Christ l'unique Médiateur. Essai sur la rédemption et le salut. Tome II, Les récits du salut : Proposition de sotériologie narrative*, Jésus et Jésus-Christ 51, Desclée, Paris 1991, 300-302.

٢٢ حول هذا الموضوع رج:
M. GOURGUES, «Mission et communauté, Ac 1 — 12», *Cahiers Évangile* 60 (1987) 7 .

عاشها الرسولان: شفاء كسيح، إقامة ميت، وقوف في المجلس، إلخ[٢٣]. إن توقّفنا على شخصيّة بطرس في الكنيسة الأولى، نرى أنّه القائد الذي يترأس اجتماعات الرسل قبل الصعود وبعد العنصرة، ويرشدهم بسلطته لاتّخاذ القرارات المناسبة. لكنّه كان أيضًا مبشّرًا جوّالاً من الطراز الأوّل، ولم يكتفِ فقط بترأس الجماعة في أورشليم.

٣. ٢. ١- بطرس الرئيس الكنسيّ

لم يتفرّد بطرس بالسلطة، بل عرف كيف يسند مهام تدبير الأمور إلى أشخاص كفوئين: أوكل أورشليم إلى يعقوب أخي الربّ، رسم مرقس أسقفًا على جبيل[٢٤]، أرسل برنابا إلى طرسوس - بقرار مع جماعة أورشليم — ليأتي ببولس ويبشّرا معًا بأنطاكية، أقام كرسي أنطاكية وبقي فيه ٧ سنوات ثمّ خلفه أوديوس، ثمّ ذهب إلى روما حيث أقام كرسيه حوالى سنة ٤٥ م. كرئيس للكنيسة عقد بطرس المجمع الأوّل للرسل بعد عودته من روما إلى أورشليم حوالى سنة ٥١ وهناك قال كلمته الشهيرة والأخيرة في أعمال الرسل: «اختار الله اسماع الوثنيّين البشارة، فلم يفرّق بيننا وبينهم، بل طهّر قلوبهم بالإيمان» (أع ١٥: ٧-٩). فلم يتحدّث بمنطق المسؤول عن القوانين والواجبات والوصايا والتقاليد: إنّ المسؤول الكنسيّ يتحدّث بكلام الله الذي يخاطب الضمير، عندها يأخذ الضمير موقف الواجب وإحقاق القانون. هذا هو صياد البشر: لا يصطاد بكلمة القانون إنّما يجعل الله يلمس القلوب فيقع الناس عندها في شبكة الملكوت.

٣. ٢. ٢- بطرس المبشِّر والرسول

٢٣ للمقابلة بين بطرس وبولس يمكن الاضطلاع على المراجع التالية: شفاء كسيح (٣: ٢-٢٦ = ١٤: ٨-١٧)؛ وقوف في مجلس اليهود للمحاكمة (٤: ٥-٧ = ٢٣: ١-١٠)؛ جَلْد (٥: ٤٠ = ٢٦: ٢٢)؛ اجتراح خوارق (٥: ١٢-١٦ = ١٩: ١١-١٢)؛ قيامة ميت (٩: ٣٢-٤٢ = ٢٠: ٧-١٢).

٢٤ نقتبس في ما يلي من كتاب السنكسار مقالات "مرقس الإنجيليّ ٢٥ نيسان" والرسولين بطرس وبولس ٢٩ حزيران"، رج الأب بولس ضاهر، السنكسار بحسب الكنيسة الإنطاكيّة المارونيّة، منشورات معهد الليتورجيّا في جامعة الروح القدس ٢٣، كسليك ٢٠٠٤، ١٠٦ و١٦٨.

بشّر بطرس في أورشليم وجوارها، في السامرة، في فينيقيا، في أنطاكية، في آسيا الصغرى، في قورنتس، وفي روما. كرازته الأولى يوم العنصرة فطّرت قلوب ثلاثة آلاف شخص. في بادئ الأمر كان يتردّد إلى الهيكل للصلاة، وقد شفى في أحد الأيّام، إذ كان برفقة يوحنّا، مقعدًا منذ مولده. فكان تبشير بطرس مؤيَّدًا بالآيات التي كان الربّ يجريها على يده: ظلّه كان يشفي المرضى (أع ٥: ١٥). وسفر أعمال الرسل يذكر أنّ أعضاء المجلس اليهوديّ لمّا رأوا مجاهرة إيمان بطرس ويوحنّا، وكانا معروفَين أنّهما عاميّان وأمّيان، تعجبوا (أع ٤: ١٣). لا نستطيع التأكد إن كان بطرس ويوحنّا أمّيين بالفعل فلكلّ واحد منهم إرثٌ كتابيّ خاصّ (إنجيل، رسائل، رؤيا، نوافير ليتورجيّة، إلخ). إنّما الواضح أنّ التبشير بالمسيح لا يحتاج إلى شهادة licence أو أطروحة دكتوراه. في قُرانا المارونيّة نجد فطرة وحكمة عند البعض مفقودة في الأوساط العلميّة. إنّ اختبار القلب لحضور الربّ بالإيمان لهو أكبر وسيلة ناجحة في التبشير على حدّ قول بولس الرسول: «لم آتكم ببراعة الكلام... ولم يعتمد تبشيريّ على أسلوب الإقناع بالحكمة بل على أدلّة الروح والقوّة...» (١ كو ٢: ١-٥).

قال بولس أنّه أثناء التبشير من الممكن أن يكون بطرس مُرافَقًا من امرأته: «أمَا لنا حقّ أن نستصحب امرأة مؤمنة كسائر الرسل واخوة الربّ وصخر؟» (١ كو ٩: ٥). لكنّ التقليد يشهد أنّ بطرس لم يكن متعلّقًا لا بأهل ولا بممتلكات: فقد كان له بيتان في بيت صيدا وفي كفرناحوم وتخلّى عنهما بسبب التبشير. ذهب مع يوحنّا إلى السامرة (أع ٨) وأعطى الروح القدس للسامريّين ثمّ عاد إلى أورشليم. بعد ذلك ذهب إلى قيصريّة، إلى بيت قائد المئة قرنيليوس، وعمّده هو وأهل بيته بعد رؤيا حول الطاهر والنجس وقول الله له: «ما طهّره الله لا تدنّسه أنت» (أع ١٠: ١٥). فقد كان بطرس يعتقد أنّه أُقيم مبشِّرًا ليس فقط لليهود بل أيضًا للوثنيّين؛ وبالفعل إنّ تبشيره لوثنيّين سبق تبشير بولس[٢٥]. فالرسالة الأولى للقورنثيين تشهد أنّ لصخرٍ في تلك المدينة فئةً تتّبع تعليمه (١ كو ١: ١٢) وهذا يدلّ على أنّ لبطرس الفضل في تبشير قورنتس كما لبولس. وصرّح في مجمع أورشليم حول هذا الموضوع قائلاً: «اختار الله أن يُسمع الوثنيّين من فمي كلمة البشارة فيؤمنوا» (أع ١٥: ٧). إذًا بطرس كبولس، هما مبشِّران للوثنيّين وليسا ضدّ بعض لاهوتيًّا كما يُمكن أن يُفهَم، خطأً، من المشكلة التي وقعت بينهما في أنطاكية (غل ٢: ١١-١٤): وبّخ بولسُ بطرسَ لأنّه - حسب رأيه - لم يتصرّف وفق عقيدة الانفتاح المتّفَق عليها، لكنّ هذا تسرّعٌ

٢٥ حول هذا الموضوع رج:

B. SESBOUE, *Les récits du salut*, *op. cit.*, 308

في الحكم؛ تصَرَّفَ بطرسُ بحكمة المسؤول الكنسيّ الذي يعرف أن يدوّر الزوايا، فخروجه عن الطعام لوقت وجيز لم يكن إلاّ ليجرّ وراءه كلَّ أتباع اليهوديّة-المسيحيّة الذين تشككوا عندما رأوه مع الوثنيّين. فلو بقي في الطعام، على رأي بولس، لكانوا ذهبوا. وإنّما بخروجه هذا وبمحاولة اقناعهم أنّ الوثنيّين-المسيحيّين هم أخوة لهم، ربحَ الجميع[٢٦]. نتعلّم من بطرس إذًا أن يكون قلبنا قلب الراعي الذي يحبّ الجميع ويبغي خلاص جميع أهل رعيته.

٣. ٣- بطرس المضطّهَد والشهيد

ما أنبأ عنه يسوع تحقّق في حياة الرسل وبشكل خاصّ في حياة بطرس. «ها إنّي أرسلكم كالحملان بين الذئاب، ... سيُسلمونكم إلى المجامع والولاة من أجل اسمي، ... لا تخافوا الذين يقتلون الجسد، الروح القدس هو المتكلّم فيكم...» (مت ١٠: ١٦-٤٢). لقد مَثَلَ بطرس أمام المجلس اليهوديّ بسبب تبشيره بالمسيح (أع ٤)، سُجن مع الرسل وتمّ انقاذهم العجيب من قبل ملاك (أع ٥)؛ مَثَلَ بطرس لدى المجلس مرّة ثانية، جُلد وفرحَ لأنّه وُجِدَ أهلاً للهوان من أجل يسوع (أع ٥: ٤١). وبعد أن قتل هيرودس-أغريبا الأوّل حوالى سنة ٤٢ م. يعقوب بن زبدى بحدّ السيف، سجنَ بطرس لوحده (أع ١٢: ١-٤)، وهنا أيضًا تمّ انقاذه العجيب من قِبل ملاك فذهب إلى بيت مريم أم يوحنّا مرقس: وهكذا، مرّتَين، أنقذَ الله/الملاك بطرس من ظلم اليهود، لكنّ المرّة الثانية كانت بمناسبة عيد الفصح، فنجاة بطرس هي أشبه بخروج جديد وخلاص من ظلم «فرعون»[٢٧]. لذلك ترك بطرس ليعقوب إدارة الكنيسة في أورشليم وانطلق هو إلى المناطق المجاورة والبعيدة. «أشار بطرس إليهم ليسكتوا، وحدّثهم كيف أخرجه الربّ من السجن وقال أخبروا يعقوب والأخوة بهذا، ثمّ خرج وذهب إلى موضع آخر» (أع ١٢: ١٧). هذا الموضع الآخر قد

---

٢٦ يحلّل البابا بندكتوس السادس عشر فكر القدّيس غريغوريوس الكبير حول إمكانيّة الاستفادة من الأعياد الوثنيّة وتحويلها مع المعابد المرتبطة فيها إلى أمكنة ومناسبات مسيحيّة وذلك عبر شرحه لفكرة "la tolérance chrétienne" في المرجع التالي:

J. RATZINGER, *Glaube-Wharheit-Toleranz, Herder 2002, tr. française: Foi, vérité, tolérance. Découvrez la pensée de Benoît XVI. Le christianisme et la rencontre des religions*, Parole et Silence, Paris 2005, 243-247.

٢٧ نجد هذا الشرح في:

D. DORMEYER – F. GALINDO, *Comentario a los Hechos de los Apóstoles. Modelo de nueva evangelización*, Evangelio y Cultura 4, Navarra 2007, 304.

يكون فينيقية، أنطاكية، آسيا، قورنتس أو روما لكنّ بطرس سيعود إلى أورشليم للمجمع (أع ١٥). هذا بالنسبة للإضطهادات الأولى.

أمّا بالنسبة لاضطهادات نيرون فمُشارٌ إليها في ١ بط ٤: ١٢: «أيّها الأحبّاء، لا تستغربوا الحريق الذي أصابكم لامتحانكم كأنّه أمرٌ غريب حلّ بكم، بل افرحوا بقدر ما تشاركون المسيح في آلامه»؛ وهكذا دعا بطرس إلى الفرح وسط الصعاب. أمّا رواية استشهاده، فقد أنبأ عنها المسيح في يـو ٢١: ١٨-١٩. ونجد فكرة الصلب المعكوس، الرأس في الأسفل، في تقليد مقبول مُقتبَس من كتاب منحول هو «أعمال بطرس» من نهاية القرن الثاني[٢٨]. ويُخبر الكاهن الرومانيّ «كايوس، Caïus» حوالى سنة ٢٠٠ م. أنّ بطرس قُتل على تلّة الفاتيكان وأنّه دُفن هناك[٢٩]؛ يقول البعض أنّ ذلك قد تمّ أثناء حريق روما في تموز ٦٤ م. لكنّ أغلبيّة الشرّاح يجزمون اليوم أنّ استشهاده قد تمّ سنة ٦٧ م. مستندين إلى أوسابيوس القيصريّ والقدّيس هيرونيموس[٣٠].

٣. ٤- خلاصة

- في الكنيسة الرسوليّة، خُصَّ بطرس ببعض الظهورات بسبب أهمّيّة خدمته الفريدة

٢٨ تحت اسم بطرس نجد أربعة كتب منحولة: إنجيل بطرس (حول آلام المسيح من استجواب هيرودس حتّى الظهورات)، أعمال بطرس (يتحدّث عن بطرس في روما: إفحامه لسمعان الساحر وتبيان مكره وضلاله ومن ثمّ عن اضطهاد نيرون له وصلبه مع السؤال الشهير Quo Vadis)، رؤيا بطرس (إنّها الرؤيا غير القانونيّة الأقدم التي تتحدّث عن المجيء الثاني وتستفيض بشرح جنّة الأبرار وعذاب الخطأة)، وكرازة بطرس (يضمحلّ فيه سلطان بطرس لتظهر قوّة يعقوب، نجد في هذا الكتاب الدفاع اليهوديّ-المسيحيّ ضدّ الانفتاح على الوثنيّة). حول هذه المعلومات رج:
E. COTHENET, « Pierre Apôtre » *Dictionnaire de Spiritualité* 12/80-82 (1985) 1483-1484 ; F. QUERE, ed., *Évangiles apocryphes*, Seuil, Paris 2001, 117-124.

٢٩ يمكننا التأكد من ذلك من خلال:
« Au témoignage du prêtre romain Caïus, qui écrivit vers l'an 200, Pierre avait été mis à mort sur la colline Vaticane, tout près du cirque de Néron, et il avait été inhumé au même endroit », A. TRICOT «Saint Pierre» *Dictionnaire de Théologie Catholique* 12/2 (1935) 1753.
أمّا إكرام بطرس على مذبح الفاتيكان فهذا معروف من أوسابيوس القيصريّ في كتابه "تاريخ الكنيسة" ٢: ٢٥، رج:
A.F. WALLS, « Pietro » in Collettivo, *Dizionario Biblico GBU*, Roma 2008, 1230.

٣٠ تعيّد الكنيسة في ١٦ كانون الثاني عيد سلاسل مار بطرس، وفي ١٨ كانون الثاني إنشاء كرسيّ بطرس في روما (بداية أسبوع الصلاة لوحدة الكنائس)، وفي ٢٩ حزيران عيد استشهاده (مبدئيًا ؟)، وفي ٣٠ تشرين الثاني عيد أخيه أندراوس وبالتالي عيد الأخوّة مع الأرثوذكس.

كنائبٍ للمسيح وراعٍ للرعاة.

- خدمتُه الرئاسيّة لم تنفِ واجبَه التبشيريّ التجواليّ: لقد أسّس الكنائس والجماعات وأشرك معه المسؤولين في «وحدة الشراكة».

- تحمَّلَ المشقّات والاضطهادات من أجل المسيح، وقد يصبح هذا أمرًا عاديًّا لكلّ مؤمن حقيقيّ يتعلّق بحب المسيح.

خاتمة

إنّ مسيرة بطرس الإيمانيّة يمكن تلخيصها بما يلي: نعمةٌ من الربّ دعَتْه، اتّبع المسيح واختبر يومًا بعد يوم حبَّه وقوّة فعاليّة تعاليمه، هذا ما جعله ينشر في ما حوله هذا الاختبار الشخصيّ من خلال شهادة حياة، متمثّلاً بمعلّمه، في مسؤوليّاته وفي استشهاده. هذه المسيرة ممكن أن تلتقي مع خبرات كثير من المؤمنين: بنعمة نولد في إطار مسيحيّ، نخمّر هذه النعمة في اختبار شخصيّ مع المسيح، ونذهب حينَها إلى الشهادة له قولاً وعملاً، مسلكًا وحياة. فالمسؤول الكنسيّ بالتحديد، يمكنه أن يتّعظ من حياة بطرس: سؤال المسيح له «Quo Vadis، إلى أين أنت ذاهب» يوجّه يوميًّا إلى كلّ المكرّسين في حقل الربّ كي «لا يضعوا يدهم على المحراث ثمّ يلتفتون إلى الوراء» (لو ٩: ٦٢).

فالذي يصبح مع المسيح في أرض الميعاد لا يعود إلى الوراء، إلى الإذلال والعبوديّة، لأنّه حرّ. أمام جارية أنكر بطرس معلّمه، لكن، عندما أصبح كلّيًّا للمسيح لم يعد يخاف أن يذهب حيث لا يجرؤ الآخرون، أمام الامبراطور الرومانيّ، فيواجهه بمكره. حضور المسيح هو في كلّ مكان، والتعلّق به حرّيّة. هكذا نفهم كيف يموت الشهيد، ليس حبًّا بالألم، بل تعلّقًا بمصدر الحياة والسعادة. وبالمقابل يمكننا أن نقول، إنّ مَن ليس متعلّقًا بالمسيح لا يستطيع أن يعطي شيئًا: «بمعزل عنّي لا تستطيعون أن تعملوا شيئًا» (يو ١٥: ٥). فهل نحن مستعدّون دائمًا لعيش حبّ بطرس ليسوع حتّى الاستشهاد؟ هل نثق بالمسيح، نعلن إيماننا به، ونتبعه في حياتنا حتّى الموت؟

هكذا كانت شهادة حياة البابا يوحنّا بولس الثاني، الذي يعاين اليومَ مجد الله في

السماء؛ وهكذا عاش كثيرٌ من المسؤولين الكنسيّين على ممر العصور. لتكن سيرتهم حافزًا لشدّ رباط الوحدة بين المسيحيّين، حتّى ينظروا إلى هذه الوحدة كهدفٍ مرجوّ وواجب أسمى أراده المسيح، نابذين كلّ الخلافات المتعلّقة «بالخدمة البطرسيّة» التي تقوم أساسًا على خدمة الإيمان والشركة والمحبّة.

مراجع

صقر ميشال ، «قمّة الصراع بين يسوع والفرّيسيّين»، **الإنجيل بحسب القدّيس متّى**، دراسات بيبليّة ٤٨، الرابطة الكتابيّة، بيروت ٢٠١٢، ٣٩٩-٤١٧.

ضاهر بولس ، **السنكسار بحسب الكنيسة الإنطاكيّة المارونيّة**، منشورات معهد الليتورجيّا في جامعة الروح القدس ٢٣، كسليك ٢٠٠٤، ١٠٦ و١٦٨.

ALETTI J.-N., *L'art de raconter Jésus Christ. L'écriture narrative de l'évangile de Luc*, Parole de Dieu, Seuil, Paris 1989, 202-203.

BENOIT XVI, *Jésus de Nazareth. 2ème partie. De l'entrée à Jérusalem à la résurrection*, Parole et Silence - Rocher, Paris 2011, 294.

BENOIT XVI, *La foi chrétienne hier et aujourd'hui. Édition augmentée d'une préface pour l'an 2000*, Cerf, Paris 2005, 243-248: « Dans sa structure paradoxale de sainteté et de péché, l'Église est la forme de la grâce dans ce monde » (p. 246).

Collectif, *Marc commenté par Jérôme et Jean Chrysostome*, Les Pères de la foi, Desclée de Brouwer, Paris 1986, 135-136.

COTHENET E., « Pierre Apôtre » *Dictionnaire de Spiritualité* 12/80-82 (1985) 1483-1484.

DORMEYER D.– GALINDO F., *Comentario a los Hechos de los Apóstoles. Modelo de nueva evangelización*, Evangelio y Cultura 4, Navarra 2007, 304.

FABRE J.-P., *Comment Jésus pétrit Pierre. Le personnage de Pierre dans l'Évangile de Marc*, École Cathédrale, Paris 2006, 11-130.

FRANÇOIS, *Lumen Fidei. Encyclique du Pape sur « La lumière de la foi »*, Vatican 2013, § 56.

GOURGUES M., « Mission et communauté, Ac 1 – 12 » *Cahiers Evangile* 60 (1987) 7.

GRILLI M.– LANGNER C., *Comentario al evengelio de Mateo*, Evangelio y Cultura 5, Navarra 2011,102-103.

JÉRÔME, *Commentaire sur Saint Matthieu*, traduit et commenté par E. Bonnard, tome II, Sources Chrétiennes 259, Paris 1979, 15.

LEON-DUFOUR X., *Lecture de l'évangile selon Jean, t. II (5 – 12)*, Parole de Dieu, Seuil, Paris 1990,186-191.

___, *Les évangiles et l'histoire de Jésus*, Parole de Dieu, Seuil, Paris 1964, 250.

QUERE F., ed., *Évangiles apocryphes*, Seuil, Paris 2001, 117-124.

RATZINGER J., *Glaube-Wharheit-*Toleranz, Herder 2002, tr. française: *Foi, vérité, tolérance. Décourez la pensée de Benoît XVI. Le christianisme et la rencontre des religions*, Parole et Silence, Paris 2005, 243-247.

SAKR M., *L'évangile selon Saint Matthieu, une catéchèse adaptée aux Juifs et à l'Église primitive. Mémoire de Maîtrise Canonique sous la direction du P. Pierre HAUDEBERT*, Université Catholique de l'Ouest, Angers 2000, 83.

SESBOUE B., *Jésus-Christ l'unique Médiateur. Essai sur la rédemption et le salut. Tome II, Les récits du salut : Proposition de sotériologie narrative*, Jésus et Jésus-Christ 51, Desclée, Paris 1991, 300-302.

___, *Jésus-Christ, l'Unique Médiateur. Essai sur la rédemption et le salut*, Jésus et Jésus Christ 33, Desclée, Paris 2003, 28-29.

___, *Les récits du salut, op. cit.*, 308.

TRICOT A. «Saint Pierre» *Dictionnaire de Théologie Catholique* 12/2 (1935) 1753.

Vaticane, tout près du cirque de Néron, et il avait été inhumé au même endroit »

WALLS A.F., « Pietro » in Collettivo, *Dizionario Biblico GBU*, Roma 2008, 1230.

ZUMSTEIN J., « Évangile selon Jean » in FOCANT C. – MARGUERAT D., *Le Nouveau Testament commenté*, Genève 2012, 411-415.